مقدمة

الفكر اليونانى قبل الفلسفة

١ — العالم اليونانى :

ا — كان اليونان يعتقدون أنهم أصيلون فى جزيرتهم ، والحقيقة أنهم جاءوها من آسيا فهم آريون أو هنديون أوربيون . وكانوا أربع قبائل كبرى مختلفة خلقاً ولهجة : الأيوليون والدوريون فى الشمال ، والآخيون والأيونيون فى الجنوب . ولكن هذا التقسيم اضطرب فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، إذ أغار أهل تساليا على شمال اليونان ، فهاجر الأيوليون إلى آسيا واحتلوا جزيرة لسبوس والشاطىء من الدردنيل إلى خليج أزمير ، فسميت هذه المنطقة أيولية . أما الدوريون فهبطوا المورة وأخضعوا الآخيين وتهددوا الأيونيين ، فجلا هؤلاء : فريق منهم صعد إلى الأتيك فى شمال المورة ، وفريق أبحر إلى آسيا فاحتل جزيرتى خيوس وساموس والشاطىء من أزمير إلى نهر مياندر ، فعرفت هذه المنطقة باسم أيونية ، وقامت فيها مدن شهيرة ، أهمها أزمير (اغتصبوها من الأيوليين) وأفسوس وملطية . ولم يقتصر الدوريون على فتح المورة ، بل استعمروا الجزر الممتدة من قيثارة إلى رودس ، وقسما من الشاطىء الأسيوى إلى جنوب أيونية ، وسمى هذا القسم بالدورية . وفى إغارتهم هذه دمروا حضارة مادية عظيمة كانت مزدهرة فى شبه الجزيرة وفى بعض الجزر وعلى الخصوص كريت وهى المذكورة فى الأساطير وفى بعض وقائع طروادة .

ب — وفى القرنين الثامن والسابع نشبت حروب أهلية بين الشعب والأشراف ، انتهت فى أثينا وأسبرطة بديموقراطية مقيدة نظمها فى الأولى دستور سولون ، وفى الثانية ، دستور ليقورغ . أما فى غيرهما من المدن فكانت الحظوظ متباينة بين المعسكرين واضطر المغلوبون للهجرة ، ولكنهم لم يذهبوا شرقاً فى هذه المرة ، بل قصدوا إلى مناطق ثلاث : فمنهم من صعد إلى الشمال فحلّ شواطىء تراقية وخلقيدية أى الروملّى الحالية ؛ ومنهم من رحل إلى الغرب فاستعمر إيطاليا الجنوبية (وقد سماها الرومان لذلك باليونان الكبرى)

وصقلية والأندلس وجنوب فرنسا حيث أنشأوا مرسيليا ؛ ومنهم من يمم الجنوب فنزل قبرس ومصر وشمال أفريقيا . وفى هذا العصر بنى بعض الدوريين مدينتين على ضفتى البوسفور : واحدة على الضفة الشرقية هى خلقيدونية (أشقودرة) ، والأخرى على الضفة الغربية هى بيزنطة (استامبول) .

ح — وكانت هذه المدن والمستعمرات مستقلة فى السياسة والإدارة ، ولكنها كانت تؤلف عالماً واحداً هو العالم اليونانى ، تجمع بين أجزائه وحدة الجنس واللغة والدين ، فكانوا كلهم يعبدون زوس ويحجون إلى هيكله الأكبر فى أولمبية بالمورة ، كما كانوا يأتون دلف فى سفح جبل برناس يستنزلون وحى أبولون ، ويبعثون بالمندوبين فى الأعياد الكبرى يحملونهم التقدمات والقرابين . وكانت تلك الأعياد أزمنة حرماً توقف فيها الحروب ، وتقام الألعاب الرياضية ، وأسواق الأدب والفن ، فينشد الشعراء ، ويغنى المغنون ، ويعرض المصورون والمثالون آياتهم ، والمهاجرون يشاركون فى كل ذلك . فكان هذا الاتصال المستمر بالوطن الأول ، وتلاقى الجميع فى آجال معينة ، وتبادل الأفكار والسلع ، عاملا قوياً فى إنضاج الحضارة اليونانية على النحو الذى جعلها فذة فى التاريخ . ويرجع الفضل الأكبر فيها إلى المستعمرين بالإجمال ، والأيونيين منهم بنوع خاص ، وكانوا أنجب اليونان ، جاوروا الأمم الشرقية فانتفعوا بعلومها ، واصطنعوا وسائل مدنيتها ، فكانت بلادهم مهد الثقافة اليونانية ، فيها نظمت القصائد الهوميرية ، ومنها خرج العلم والفلسفة .

٣ — هوميروس :

ا — القصائد الهوميرية أقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليونانى . وهى تؤلف قصتين كبيرتين هما الإلياذة والأوذيسى ، وتنسبان إلى هوميروس منذ زمن بعيد . غير أن الشك قديم فى حقيقته وفى نسبة القصتين جميعاً لشاعر واحد . وقد ذهب بعض النقاد المتأخرين إلى أنهما لطبقتين من الشعراء ، بحيث ترجع الإلياذة إلى القرن التاسع ، وترجع الأوذيسى إلى أواخره والنصف الأول من القرن الثامن ، وأن هوميروس أشهر أولئك الشعراء أو أنه أحدثهم عهداً ، حفظ القصائد وأنشدها فنسبت إليه باعتباره الجامع لها ، فإن اسمه يعنى « المنسّق » . ويذهب فريق آخر من النقاد إلى أن هوميروس ناظم القصائد . وليس من شأننا الموازنة بين هذين الرأيين وحسم الخلاف . وإنما الذى يعنينا تعرّف أفكار اليونان فى ذلك العهد . ونحن نجد فى القصتين أفكاراً فى الطبيعة والآلهة والإنسان والأخلاق .

ب — الطبيعة عند هوميروس حية مريدة . وقد يكون هذا متابعة منه للتصور المعبر عنه بالبدائى ، كما يريد بعض المؤلفين ، ولكنه على أى حال مألوف فى الشعر إلى أيامنا ، فلا غرابة فى قوله مثلا أن نهر زونتوس استشاط غضباً لأن أخيل ملأه بالجثث ، ولا فى تشخيصه الليل والظلمات والموت والنوم والحب والشهوة والمهابة ؛ بل لا غرابة فى تأليهه الأرض وقوله أنها ولدت الجبال الشاهقة والسماء المزدانة بالكواكب ، ثم تزوجت من السماء المحيطة بها من كل جانب ، فولدت أقيانوس والأنهار ، وأن أقيانوس المصدر الأول للأشياء : فإن الأساطير القديمة فى جملتها رموز تخفى وراءها مقاصد ، إذا ترجمناها إلى لغتنا المعهودة بدت واضحة مقبولة .

جـ — والآلهة فى قمة الأولمب يؤلفون حكومة ملكية على رأسها زوس . وكلهم فى صورة بشرية ، إلا أن سائلا عجيباً يجرى فى عروقهم فيكفل لهم الخلود . وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة ، يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون ؛ يسكنون قصوراً فى السماء فخمة ، يقضون فيها حياة ناعمة فى ربيع مقيم ، يأكلون ويشربون ويتزاوجون ، تجرحهم السهام والرماح فيألمون وينتحبون . وهم حادثون وجدوا فى الزمان ، وما يزالون خاضعين لتعاقب الأيام ، وهم على مثل هذا النقص من الناحية الخلقية لهم شهواتهم وعصبياتهم يتفرقون أحزاباً ويتدخلون فى منازعات البشر ، يؤيد بعضهم اليونان ، وينا صر البعض الآخر أهل طروادة ، يتشاتمون ويتضاربون ، يخونون ويغدرون ، لا يرعون من البشر إلا من يتقرب إليهم كيفما كانت أخلاقه ، ويذهبون فى رعايتهم لمختاريهم إلى حد أن يهبوهم التوفيق فى الخديعة ، أو المهارة فى السرقة ، لا يحفلون بعدل أو بظلم إلا فيما ندر .

د — والإنسان مركب من نفس وجسد . الجسد مكون من ماء وتراب ينحل إليهما بعد الموت ؛ والنفس هواء لطيف متحد بالجسد متشكل بشكله ، ينطلق بالموت شبحاً دقيقاً لا يحسه الأحياء ، فينزل إلى مملكة الأموات فى جوف الأرض ، وقد احتفظ بالشعور وفقد القدرة على الحركة ، فهو يألم لذلك ، ويقضى هناك حياة باهتة تافهة خير منها ألف مرة الحياة على وجه الأرض فى ضوء النهار مهما تبلغ من البساطة والفقر . وليس فى هذا العالم الآخر ثواب ولا عقاب إلا فى النادر ، يوزعهما الآلهة بمثل ما يوزعون فى الحياة الفانية من عدل معكوس ، فيحابون أصدقاءهم وينكلون بأعدائهم ، وليست صداقتهم عطفاً على الخير ، أو عداوتهم نقمة على الشر .

هـ — فنحن هنا فى أحط دركات التشبيه ، وبإزاء أوقح أشكال الاستهتار . نرى

العاطفة الدينية ضعيفة إلى حد العدم ، والمبادئ الخلقية مقلوبة رأساً على عقب . غير أن الأوذيسى أكثر احتراماً للآلهة ، لا تصورهم منقسمين على أنفسهم ، بل إنها تتحدث عن عدالة تروس . وهى أكثر تقديراً للفضيلة ، تمجد الرجل الحكيم الشجاع الصبور ، والزوجة الوفية ، والابن البار ، والخادم الأمين . ومع ذلك فهى تصور الآلهة يقضون بالقدر على البشر دون اعتبار لقيمة أفعالهم ، والقدر يسخر من الفضيلة ، ويعبث بالإرادة الصالحة . ولم يكن اليونان يجهلون الأخلاق القويمة ، أو يستهترون بالآلهة . فقد كانوا ، وكانت الأسر العريقة منهم بنوع خاص ، على جانب عظيم من الاستمساك بالشرف ، يشيدون بتحكيم العقل ، وقمع الشهوة ، والتجلد للمصائب ، وضبط اللسان ، ومقت الكذب ، ومراعاة العدل بين الجميع لخير الجميع ، واحترام الوالدين والعناية بهم فى شيخوختهم والثأر لهم إذا لزم الأمر ، وحسن اختيار الصديق ثم الوفاء له . وكانوا يرون تكريم الآلهة واجباً تقضى به العدالة عرفاناً لجميلهم ، وتدفع إليه المصلحة استمداداً لعونهم ، ويوحى به الخوف دفعاً لغضبهم ؛ وكانوا يحترمون القسم لوجوب احترام الآلهة . فلا يعد الشعر الهوميرى مرآة للموازين الأخلاقية والعواطف الدينية عند اليونان ، ولكنه شعر كان ينشد فى بلاط أمراء أيونية الذين كانوا على حظ وافر من الغنى والترف ، فلم يكن الشاعر يتغنى بغير ما يروقهم ، فيصور الحياة سهلة جميلة ، والشهوة غلابة لا يقفها وازع ، والقوة ممدوحة لذاتها لا يحدها حق . ولما كان اليونان قد درجوا على تدارس هذا الشعر جيلا بعد جيل ، وكان شعراؤهم قد نهلوا منه ونحوا نحوه ، فقد تأثروا به تأثراً قوياً فى الدين والأخلاق . وسوف لا ينى الفلاسفة عن معارضته حتى تبلغ المعارضة أشدها عند أفلاطون .

٣ — هزيود :

١ — ولم يعدم الضمير الإنسانى فى ذلك العصر ، أى فى القرن الثامن ، صوتاً يجهر بأحكامه المقدسة ، ويتكلم عن الدين والأخلاق فى جد ووقار — هو صوت هزيود أقدم شاعر تعليمى فى الغرب . نشأ فى بويتيا فلاحاً بعيداً عن بهرج الحضارة ، ونظم للفلاحين ديواناً أسماه « الأعمال والأيام » ملأه حكما وأمثالا تسودها فكرة العدالة . ينقسم الديوان إلى أربعة أقسام رئيسية : الأول درس أخلاقى فى العمل وحث عليه ، يتخلل ذلك حكم متنوعة . الثانى نصائح فى الزراعة ، يليها إرشادات فى الملاحة . الثالث مجموعة من الوصايا فى الزواج والعلاقات الاجتماعية والشعائر الدينية . الرابع تقويم يدل على أيام السعد وأيام النحس ،

ويحوى الشيء الكثير من الخرافات الشعبية . وأهم ما يهمنا هنا بعض أقواله فى العدالة عند الآلهة والبشر . يقول « السمك والوحش والطير يفترس بعضها بعضاً لأن العدالة معدومة بينها ، أما الناس فقد منحهم زوس العدالة وهى خير وأبق » . وأيضاً « إن للملوك آكلى الهدايا عدالة ملتوية ، أما زوس فأحكامه قويمة » . ويقول « من يضر الغير يجلب الشر على نفسه . عين زوس تبصر كل شيء . إذا كان الذى يربح الدعوى هو الأكثر طلاحا فمن الضار أن يكون الإنسان صالحا ، ولكنى لا أعتقد أن يكون زوس الحكيم جداً قد صنع مثل هذا . إن ساعة العقاب آتية لا محالة ، وإن زوس يهب القوة ، ويذل الأقوياء ، يضع الذى يطلب الظهور ، ويرفع الذى يقعد فى الخفاء » وغير ذلك كثير خلاصته أن الحق فوق القوة والإنسانية فوق الحيوانية .

ب — ويذكر لهزيود ديوان آخر فى « أصل الآلهة » يرى بعض العلماء أنه منحول وأنه متأخر عن عهده بقرن أو يزيد ، وهو على الطريقة التعليمية ، حاول فيه الشاعر أن يؤلف مجموعة معقولة من الأساطير والمعارف القديمة . افتتحه بالضراعة إلى آلهات الشعر أن توحى إليه ما كان وما هو كائن وما سيكون وأن تعلن قوانين الأشياء جميعاً . ثم مضى يسلسل الأشياء والآلهة : فوضع فى البدء ثلاثة أصول « كاوس » أى الهاوية أو الخلاء الذى ستحل فيه الموجودات ؛ و « جايا » أى الأرض الخصبة ؛ و « إيروس » أى الحب أو قوة التوليد والإنتاج . ثم تنتظم الكتلة الأرضية ، وينبثق النور من الظلمات ، وترتفع السماء فوق الجبال ويتهادى البحر فى محراه العميق . ويدل ترتيب ظهور الأشياء على أن الشاعر راعى ما بينها من علاقات العلية ، وتمشى فى تدرجه إلى النظام على مبدأ أن الأصغر يخرج من الأكبر ، فأخرج الجبال من الأرض ، والأنهار من أقيانوس ، وهكذا إلى آلهة الأولمب ، وهم آخر المواليد على اعتبار أن القوى الطبيعية سابقة على الآلهة المكلفين بتدبيرها . فهذا الديوان يعد أول محاولة فى العلم الطبيعى بالرغم من أن نصيب المخيلة فيه أكبر من نصيب العقل ، وأن الشاعر يروى ولا يفسر ، فإن القصص الرمزى كان مألوفاً عند الأقدمين . وقد نبغ فى عهده وبعده بقليل غير واحد من الشعراء والكتاب الذين يدعوهم أرسطو باللاهوتيين لمعالجتهم العلم فى صورة الأسطورة ، والذين كانوا حلقة بين هوميروس وأوائل الفلاسفة .

٤ — الديانات السرية :

ا — كان لكل مدينة يونانية آلهتها ، وكان اليونان يصدرون فى علاقتهم بالآلهة عن

المواطف الثلاث التي ذكرناها ، وهي عرفان الجميل ، والمصلحة الخاصة ، وخوف العقاب ، إذ أن الآلهة كانوا يعتبرون بناة المدينة وحماتها ، فكان تكريمهم واجباً وطنياً ، وكان الإلحاد في حقهم خيانة للوطن ، أي جريمة يعاقب عليها القانون . غير أن تيارات دينية أخرى ظهرت ، وقصدت إلى تجاوز حدود المدينة ودعوة الناس جميعاً ، حتى الأجانب والأرقاء ، إلى حياة روحية أسمى وأقوى . ذلك أن فريقاً من اليونان لحظوا الفارق بين سيرة الإنسان وما يعتقده من مثل أعلى في الأخلاق ، واستوقف نظرهم التعارض البارز بين شقاء الإنسان وسعادة الآلهة . فبدا لهم أن قد يكون بالإمكان إيجاد علاقة بالآلهة غير علاقة العبد بالسيد ، علاقة تقرب فاتحاد تكفل للإنسان المشاركة في السعادة الإلهية . ووجدوا عند الشرقيين غذاء لهذه النزعة . فنشأت « أسرار » أي نحل سرية تعلل مريديها بالنجاة من مصائب هذه الحياة وبالسعادة في الأخرى ، فيأمنون شر المرض والغرق والخراب والحرب وما إليها ، ويضمنون لأنفسهم النجاح والتوفيق ، وبعد الموت النجاة من « الهاوية » واللحاق بالآلهة ، فيخلصون من الكابوس الذي كان جاثماً على الصدور والذي يلخص في هذه العبارة : « إن حياة الإنسان ظل زائل ، ووجوده بعد الموت ظل الظل » .

ب — وأشهر هذه النحل أسرار إلوسيس والأسرار الأورفية . نحلة إلوسيس تعبد « ديمتير » التي كانت إلهة الحرب عند هوميروس فصارت عندها إلهة العمل . كانت إلوسيس مدينة مستقلة ، ثم دخلت في سيطرة أثينا أثناء القرن السابع ، أي في الوقت الذي نشط فيه الإقبال على معبد الإلهة ؛ وما إن جاء القرن الخامس حتى كانت هذه النحلة قد غزت العالم ، فصارت المدينة طوال العصر القديم مزاراً يتقاطر إليه اليونان والرومان ، بل ويحج إليه بعض أباطرة روما . وكانت تقام فيها أعياد فخمة تأخذ بمجامع القلوب . وتقوم العبادة في هذه النحلة على أسطورة غامضة وتماثيل ظلت سراً مكتوماً مدى ألف عام . وكان المريدون يمثلون قصة ميثولوجية لكي يبعثوا في نفوسهم المواطف التي انفعل بها الإله أو الإلهة ، ويتلون عبارات مبهمة ، ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة ، لكي يحققوا حالة الجذب أو الاتحاد بالإلهة .

ح — أما الأورفية فتعبد ديونيسيوس الذي كان عند هوميروس إله ترف الأشراف فصار عندها إله التضحية . وعبادة ديونيسيوس معروفة منذ عهد قديم ، والأورفية إحدى صورها . ويقال إنها ترجع إلى شاعر من أهل تراقيا اسمه أورفيوس ، وهو شخص يستحيل معرفة حياته وآرائه ومنشأ نحلته لكثرة ما روى عنه من الأخبار المتضاربة ، وأضيف إليه

من الكتب المتعارضة . ولكن التاريخ عرف الأورفية أول ما عرفها فى القرن السادس ذائعة ذيوعاً قوياً ، وبخاصة فى إيطاليا الجنوبية وصقلية . وهى قائمة على أسطورة مؤداها أن تزوس وهب طفله ديونيسيوس (ابنه من ابنته برسفون) السلطان على العالم ، ففارت منه هيرا زوجة تزوس ، وألبت عليه طائفة من الآلهة الأشداء هم الطيطان ، فكان ديونيسيوس يستحيل صوراً مختلفة ويردهم عنه ، إلى أن انقلب ثوراً فقتلوه وقطعوه وأكلوه . غير أن الإلهة پلاس (مينرفا) استطاعت أن تختطف قلبه ، فبعث من هذا القلب ديونيسيوس الجديد . وصعق تزوس الطيطان . وخرج البشر من رمادهم . فالإنسان مركب من عنصرين متعارضين : من العنصر الطيطانى وهو مبدأ الشر ، ومن دم ديونيسيوس وهو مبدأ الخير ؛ فالجسد بمثابة القبر للنفس ، وهو عدوها اللدود يجرى معها على خصام دائم .

و — فواجب الإنسان أن يتطهر من الشر ؛ وهذا أمر عسير لا تكفى له حياة أرضية واحدة ، بل لا بد له من سلسلة ولادات تطيل مدة التطهير والتكفير إلى آلاف السنين . ورتبوا على هذه العقيدة طقوساً كانوا يقيمونها ليلا : منها التطهير بالاستحمام باللبن ، أو بالماء تضاف إليه مادة تلونه بلون اللبن ؛ وتقدمة القرابين غير الدموية ، وتمثيل قصة ديونيسيوس بما فى ذلك تقطيع ثور وأكل لحمه نيئاً ، وتلاوة صلوات كالتى وردت فى كتاب الموتى المعروف عن المصريين . فقد اكتشفت مقابر فى إيطاليا الجنوبية وجدت فيها صفائح ذهبية عليها إرشادات للنفس عما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق ، وتتلو من صلوات ، فكانت هذه الصفائح دليلا قاطعاً على أنهم عرفوا كتاب الموتى وأخذوا عنه ، كما أنهم أخذوا فكرة الولادات المتعاقبة عن الهنود ، مباشرة أو بواسطة الفرس . وكانوا يقولون إن الأرض للبشر كالحظيرة للماشية ، فلا يحق للنفس أن تهرب من هذه الحظيرة ، وإنما واجبها أن تنتظر الأجل المحدد من الآلهة . فالانتحار كفر ؛ إنه عدول عن الامتحان ، ومن ثمت عن الثواب وسيأتى اليوم الذى تنجو فيه النفس الصالحة من « دولاب الولادات » وتستعيد طبيعتها الإلهية فتحيا حياة روحية فى العالم غير المنظور . ومن مبادئهم أيضاً احترام الحياة حيثما وجدت : فى الإنسان والحيوان والنبات .

هـ — فالأورفية تمتاز بالإيمان الراسخ بالعدالة الإلهية ، وبالعالم الروحانى ، وبالطهارة الباطنة ؛ بينما باقى « الأسرار » كانت تعتقد أن الطقوس وحدها كفيلة بتحقيق أغراضها دون التكمل خلقياً ، بل كانت تستبيح بعض المخازى وتدمجها فى شعائرها . وتتصور العالم الآخر تصوراً مادياً . وتمتاز الأورفية بأن إلههم عديم النظير بين آلهة اليونان ، فهم يمجدون

فيه الضحية المظلومة والفوز النهائى للضعيف صاحب الحق . وتمتاز أيضاً بأنها كانت شيعة الطبقة الوسطى المثقفة ، وفيها نبغ شعراء وكتاب اعتمدوا على التفكير الشخصى فى معالجة مسألة نشوء العالم ، فهذبوا الأساطير القديمة وكانوا طليعة العلم الطبيعى . وقد كان للأورفية أثر فعال فى الشعراء والمفكرين ، بل يمكن القول أنها هى التى وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على أيدى فيثاغوراس وسقراط وأفلاطون ، فسنجد عندهم عقائدها وتعابيرها كأصول يحاولون ترجمتها إلى قضايا عقلية ثم البرهنة عليها . ولما اشتد اختلاط اليونان بالشرقيين ، شعر فلاسفتهم بالحاجة إلى دين ، فعادوا إلى « الأسرار » يشرحون أقوالها ، بل يصطنعون شعائرها أو ينسجون على منوالها ، كما سنرى فى آخر أدوار الفلسفة اليونانية عند الفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية الجديدة .

٥ — الحكماء :

ا — ولما كان القرن السابع اشتدت الخصومات السياسية بين اليونان ، وقويت حركة التوسع الاستعمارى والتنظيم الاجتماعى ، ونبغ فيهم رجال معدودون أشهرهم «الحكماء السبعة» على ما هو متواتر ، ولو أن القدماء اختلفوا فى عددهم وأسمائهم . ومنهم على كل حال سولون المشرع المعروف (٦٤٠ — ٥٥٨) وطاليس أول الفلاسفة : هؤلاء الحكماء كان مقصدهم الأكبر إصلاح النظم والأخلاق . وقد ذكر أفلاطون بعض حكمهم فإذا هى عبر عملية استخرجوها من تجاربهم الشخصية ، وصاغوها فى عبارات موجزة ذهبت أمثالا . قال : « واجتمعوا فى دلف ، وأرادوا أن يقدموا لأبولون فى هيكله بواكير حكمتهم ، فاختصوه بالآيات التى يرددها الناس الآن مثل « اعرف نفسك » و« لاتسرف » و« الصلاح عسير »[1] فكانوا مصلحين ومشرعين ، ولم يكونوا فلاسفة بمعنى الكلمة ، وشاع هذا النوع من الحكمة ، وظهرت « أمثال إيسوب » وهو شخص أسطورى يرجع عهده إلى النصف الثانى من القرن السابع . ثم ظهر الشعر الحكمى فيه أمثال منظومة ونقد لأخلاق الناس . ثم خطا العقل خطوة حاسمة وانتقل إلى العلم والفلسفة .

٦ — أدوار الفلسفة اليونانية :

مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أدوار : دور النشوء ، ودور النضوج ، ودور الذبول .

(١) فى محاورته « بروتاغوراس » ص ٣٤٣ .

وكان كل دور على وقتين ، فقسمنا الكتاب إلى ستة أبواب .

يبدأ الدور الأول بالوقت المسمى عادة بما قبل سقراط ، وهو يمتاز بمحاولة تفسير العالم ، وفيه وضعت أسس الفلسفة النظرية . والوقت الثانى وقت السوفسطائيين وسقراط وبعض تلاميذه ، يمتاز باتجاه الفكر إلى مناهج الجدل وأصول الأخلاق ، وفيه وضعت بذور الفلسفة العملية .

والدور الثانى يملؤه أفلاطون وأرسطو . اشتغل أفلاطون بالمسائل الفلسفية كلها ، من نظرية وعملية ، وبحثها وزاد عليها وبلغ إلى حقائق جليلة ؛ ولكنه مزج الحقيقة بالخيال والبرهان بالقصة . فلما جاء أرسطو عالج المسائل بالعقل الصرف ، ووفق إلى وضع الفلسفة بأقسامها الوضع النهائى .

والدور الثالث لا يبين عن كبير ابتكار . وإنما هو يفيد من المذاهب السابقة فيجددها ويعدل فيها . فيتجه الفلاسفة أولا إلى الأخلاق بتأثير الشرق ، ويجعلون منها محور الفلسفة ثم يشتد تأثير الشرق فيرى الفلاسفة أن يرتفعوا بالفلسفة إلى مقام الدين والتصوف ؛ ويساهم الشرقيون فى الفلسفة بلغتها اليونانية .